

في ملء الزمان

أجل في ملء الزمان ولد المخلص يسوع المسيح. أي بعد أن اكتمل الزمن، وأتى الوقت المعين من قبل الله، وتحققت كل التحضيرات الإلهية لمجيء المخلص الموعود به. لهذا لم يكن غريباً أن يبدأ الرب يسوع المسيح خدمته قائلاً: "قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله. فتوبوا وآمنوا بالإنجيل." (مرقس ١: ١٥) أي أتى الزمن الذي سنتم فيه وعود الله للبشر منذ القديم، وأصبح بإمكان الإنسان أن يدخل إلى ملكوت الله. وأن ملكوت الله قد أصبح قريباً من الإنسان ومتوفراً له، بحسب وعود الله.

وهكذا تمت في مجيء المسيح كل مقاصد الله الأزلية لإعلان خلاصه للبشرية جمعاء. وتحققت كل نبوءات العهد القديم التي أشارت إلى مجيء المسيح المخلص. وصار المسيح هو محور التاريخ البشري ومركزه. فنقول ما قبل المسيح وما بعد المسيح. ولعل عودة سريعة إلى الوراء أي إلى بدء العصر المسيحي وتأسيس الكنيسة، ستجعلنا ندرك مدى أهمية ما حصل. فلقد حلّ الروح القدس في قلوب البشر، وعمّت رسالة الإنجيل المفرحة في كل أنحاء العالم القديم المعروف آنذاك. وأخذ نور الإنجيل يضيء ويلاشي الظلمة الحالكة التي كانت تسود العالم، وبدأت الوثنية تتهاوى وتسقط. وبالرغم من الاضطهاد العنيف والقاسي الذي تعرض له المؤمنون الأوائل، خرجت الكنيسة غالبية منتصرة، لا بل صارت المسيحية وبعد قرون قليلة، هي دين الإمبراطورية الرومانية الرسمي.

لا نستطيع الكلام عن مفهوم "ملء الزمان" دون التطرق للحديث عن بعض النظريات المغلوطة المنتشرة عن المجيء الأول للمسيح والغرض منه. فهناك النظرية التدبيرية (أو نظرية التدابير) التي تقول أن المسيح في مجيئه الأول، لم يحقق وعود الله كما أعلنها للشعب قديماً في نبوءات العهد القديم. لا بل يذهب البعض إلى حد القول، أن الله قد أبدل خطته، وهكذا توجه المسيح إلى الأمم بشكل مؤقت في هذا العصر. فما مدى صحة هذه النظرية؟ صحيح أن الإجابة عن مثل هذه الأقوال بحاجة إلى شروحات مستفيضة ومطولة. لكننا نستطيع في هذه المقالة أن نقدم ملاحظتين هامتين.

الملاحظة الأولى والمهمة جداً هي أن الرب يسوع المسيح نادى ومنذ اللحظة الأولى لخدمته باقتراب ملكوت الله كما لا حظنا قبل قليل. ملكوت الله بالمفهوم الإلهي الصحيح، وليس بالمفهوم الخاطئ الذي كان سائداً لدى الشعب في أيامه. ولعلّ هذا ما يفسّر عدم فهم التلاميذ أنفسهم لتعاليم المسيح، والأمثال التي كان يتكلم بها. وقد تابع المسيح مناداته بملكوت الله وبحسب هذا المفهوم الإلهي، طيلة أيام خدمته على الأرض. وكان أول عمل قام به الرب يسوع المسيح بعد قيامته من بين الأموات، هو أن شرح

لتلاميذه الخائفين عن مفهوم ملكوت الله. ولهذا كتب البشير لوقا نقلاً عن المسيح قوله لتلاميذه: " أنه لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير. حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب." (لوقا ٢٤: ٤٤ و٤٥) وكتب أيضاً البشير لوقا في بداية سفر أعمال الرسل عن المسيح قائلاً: "الذين أراهم أيضاً نفسه حياً ببراھين كثيرة بعدما تألم وهو يظهر لهم أربعين يوماً ويتكلم بالأمر المختصة بملكوت الله." (أعمال الرسل ١: ٣) إن المسيح إذن حقق جميع وعود الله المتعلقة به كما جاءت في العهد القديم. ولم تتبدل خطة الله، بل على العكس تماماً، لقد نفذ المسيح خطة الله بالفداء والخلاص لجميع البشر بحذافيرها، وبدأ بالتالي ملكوت الله بحسب المفهوم الإلهي المعلن عنه في العهد القديم.

الملاحظة الثانية هي أن الرسل الأوائل قد أدركوا بعد امتلائهم بالروح القدس، المفهوم الصحيح لملكوت الله، وأن المسيح في مجيئه الأول قد تم كل وعود الله كما جاءت في العهد القديم. فها هو الرسول بطرس يقول في الهيكل بعد شفائه الرجل الأعرج: "والآن أيها الإخوة أنا أعلم أنكم بجهالة عملتم كما رؤسواكم أيضاً. وأما الله فما سبق وأنبأ به بأفواه جميع أنبيائه أن يتألم المسيح قد تممه هكذا." ثم أضاف قائلاً: "وجميع الأنبياء أيضاً من صموئيل فما بعده جميع الذين تكلموا سبقوا وأنبأوا بهذه الأيام. أنتم أبناء الأنبياء والعهد الذي عاهد به الله آباءنا قائلاً لإبراهيم وبنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض. إليكم أولاً إذ أقام الله فتاه يسوع أرسله يبارككم برد كل واحد منكم عن شروره." (أعمال الرسل ٣: ١٧ و٢٤، ١٨-٢٦) يبدو واضحاً من هذه الآيات المقدسة، أن الرسول بطرس قد أدرك الآن المفهوم الإلهي الصحيح لنبوءات العهد القديم المتعلقة بمجيء المسيح وعمله الكفاري، وعصر ملكوت الله الذي سيليه. لا بل اعتبر أن جميع الذين تكلموا سبقوا وأنبأوا بهذه الأيام، أي أيام ملكوت الله.

أما الرسول بولس فقد وقف يعظ الشعب في مجمع إنطاكية بيسيدية قائلاً لهم: "ونحن نبشركم بالموعد الذي صار لآبائنا. إن الله قد أكمل هذا لنا نحن أولادهم إذ أقام يسوع كما مكتوب أيضاً في المزمور الثاني أنت ابني أنا اليوم ولدتك." (أعمال الرسل ١٣: ٣٢) إن الله قد أكمل إذن وتمم ما سبق أن وعد به الشعب في العهد القديم. وهذا يؤكد أيضاً أن الله لم يبدل خطته، بالنسبة للخلاص والفداء، وإعلان ملكوته. ولهذا لم يكن غريباً أن يكتب الرسول بطرس في رسالته قائلاً: "الخلاص الذي فُتس وبحث عنه أنبياء. الذين تنبأوا عن النعمة التي لأجلكم. باحثين أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها. الذين أعلن لهم أنهم ليس لأنفسهم بل لنا كانوا يخدمون بهذه الأمور التي أخبرتم بها أنتم الآن بواسطة الذين بشروكم في الروح القدس المرسل من السماء. التي تشتهي الملائكة أن تطلع عليها." (١بطرس ١: ١٠-١٢) صحيح أن وعود الله في العهد القديم كانت غامضة ومبهمة، لا بل مخفية عن أذهان الشعب قديماً، لكن هذا لا يعني أنها لم تتم كلها في المجيء الأول للمخلص المسيح، أو أنها تأجلت إلى زمن آخر.

نعم في ملء الزمان تجسد الكلمة الأزلي ابن الله الوحيد، وأتى إلى عالمنا كابن للإنسان. لكي يتم وعود الله للبشرية جمعاء

منذ القديم، الوعد بالخلاص ودخول ملكوت الله، ونوال الغفران والحياة الأبدية، وأن يصبح الإنسان من أولاد الله بواسطة حلول الروح القدس في كيانه. "وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه. الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله." (يوحنا ١: ١٢ و١٣)